قصص المعلمين

قصتي مع التعليم

أميرة ياسين

بما أن الفتاة في المجتمع العربي لها حق محدود في العمل والتصرف، فإن النصيحة الدائمة لي أن اختار تخصصاً في الجامعة يتناسب مع وضعي كفتاة وزوجة مستقبلاً على أن ينتهي بي المسار لأن أصبح معلمة.

بدأت هذه القصة منذ أن كنت في السنة الدراسية الأخيرة في المدرسة (التوجيهي)، فالنظرة الاجتماعية السائدة للفتاة هي أنها في نهاية المطاف لبيتها وأولادها وزوجها، والوظيفة الأنسب هي أن تكون معلمة، لوجود ميزات تتمتع بها هذه الوظيفة؛ كالعطلة الصيفية مثلاً. تم إقناعي بوجهة النظر هذه على الرغم من عدم محبتي لها، فقد أحببت اللغة الإنجليزية منذ طفولتي، لكن ليس بهدف التعليم.

بدأت مسيرتي في التعليم مباشرة بعد التخرج، حيث عملت في مدرسة خاصة للبنات، وبدأت التعليم والصراع مع الصفوف (الكبرى) وهي التاسع والعاشر. بعض الطالبات كن أطول وأضخم مني، بحيث كنت في بعض الأوقات عندما أرادت إحداهن الإجابة عن سؤال أطلب منها البقاء مكانها وعدم الوقوف. لم أكن ناجحة جداً في عملي في السنة الأولى، حيث لم أعتد على اتّباع أي قاعدة عند دراستي للغة، بل كنت أرى الإجابة المناسبة دون اللجوء للقاعدة الخاصة بالدرس. وها أنا أواجه المشكلة في توصيل المعلومة للطالبات. لجأت لمعظم معلمي اللغة في المدرسة ذاتها، حيث لقيت الترحيب والمساعدة كي أكون معلمة ناجحة.

تجربتي مع المعلمين في تلك المدرسة كانت حافلة جداً؛ بسبب كوني طالبتهم في السابق، ومديري في العمل هو نفسه مديري عندما كنت طالبة. عانينا الكثير خلال كوننا طالبات في تلك المدرسة، كوني كنت في الفرع الأدبي، مثلاً فنحن «من المغضوب عليهم». كان الفرع الأدبي كأنه وجد لمن ليس لديها عقل لتفكر، أو لمن لا تريد أن تجتهد وتدرس. هذا هو المتعارف عليه عندما يسأل أحدهم: أميرة أنتي توجيهي شو؟ وأنا أجيب: أدبي. عندها ردة الفعل تكون «يلا أريح لراسك بدهاش تعب»!! كانت الأفضلية لمن هن بالفرع العلمي. يتم استشارة طالبات الفرع العلمي في كل شيء قبلنا، حيث مواعيد الامتحانات، ومواعيد الرحلات، وتصحيح الامتحانات، وتوزيع العلامات. في جميع الأحوال لم نكن نحن طالبات الفرع الأدبي سوى صديقات حميمات لطالبات الفرع العلمي. وفي النهاية، كانت النتيجة مفرحة لنا، وأقول الصراحة لقد شمتنا بالمدرسة شماتة، لكن ليس بالطالبات أكيد. وذلك لتوقعات المدرسة والعاملين فيها بأن من ترسب ستكون من الفرع الأدبي على الأكيد، وما حدث هو أن الفرع الأدبي نجح 100%، والعلمي رسبت طالبة.

لا أعتبر السنة الأولى في العمل ناجحة جداً، بل اعتبرها سنة اكتساب تجربة وخبرة وتعلم لأستفيد في السنوات المقبلة، على الرغم من أن المعلمين في تلك المدرسة رحبوا أشد الترحيب بي؛ لأنني كنت طالبتهم في يوم ما، والآن أنا أقف إلى جانبهم كزميلة وليس طالبة، لكنني لم أشعر أني زميلة بل طالبة، حيث حاولت اكتساب الخبرة منهم قدر المستطاع.

حاولت بعض الطالبات خلال كل عام دراسي توجيه بعض الأسئلة التي يعتقدن أنها محرجة بالنسبة لي، لكن –والحمد لله– لم أعطيهن الفرصة، وبقيت صامدة أمامهن في غرفة الصف. لكن لا أنكر أنني ذهبت للبيت مرات عدة باكية خوفاً من الفشل. أتحدث عن هذه الأيام الآن وأنا أضحك لأنها ذكرى جميلة. بعد مرور العام الدراسي الأول، أصبحت أكثر ثقة وتابعت معظم الأسئلة التي كانت

توجه لي من قبل الطالبات. قمت بتدوين ملاحظاتي الخاصة التي ليس لها علاقة بدفتر التحضير، الذي أعتبره دفتر مجاملات للإدارة أو الموجه. التحضير الفعلي كان مدوناً على دفتر خاص بي، فيه كل التفاصيل من أهداف وتمارين واختبارات وغيرها.

الأعوام تمر، وكل عام كنت أكتسب خبرة جديدة، حيث أصبحت خبيرة في المادة التعليمية لتلك الصفوف. أصبحت كذلك علاقتي بالطالبات أقوى، حيث كانت أعمارنا متقاربة، ما جعل هؤلاء الطالبات يشعرن بالارتياح. بعضهن لم يحببنني كثيراً، وذلك لكوني صارمة في بعض الأوقات. فعلاً، تعاملت بدكتاتورية في كثير من الأحيان والمواقف، لأنني أحسست أن مواقف معينة تحتاج إلى الصرامة، وبكل صراحة أردت أن أثبت وجودي في المدرسة، وفعلاً حققت ما أردت.

عملت في المدرسة ذاتها خمس سنوات، حيث قمت بتعليم الصفوف التاسع والعاشر لمدة عامين، وانتقلت لتعليم الصفوف السابع والثامن لمدة ثلاثة أعوام. تعلمت في هذه الأعوام القصيرة أشياء كثيرة؛ مثل كيفية التعامل مع الطالبات من المستويات كافة. تطورت معرفتي بأساليب التدريس المختلفة أيضاً، وذلك لتوصيل المعلومات بالشكل الصحيح للطالبات، ولإيصال المعلومة ذاتها للطالبات اللواتي عانين من تدني مستوى التحصيل. قامت المدرسة بوضع خطة في العطلة الصيفية، حيث قمت بمساعدة الطالبات الضعيفات في التحصيل بإعطائهن دورة تقوية في اللغة الإنجليزية خلال فصل الصيف، وذلك لتمكينهن من المتابعة مع زميلاتهن خلال العام الدراسي المقبل.

الآن أنا أعمل في مدرسة أخرى، مدرسة مختلطة، وفيها أيضاً طلاب ذوو احتياجات خاصة مدموجون في الصفوف ذاتها مع الطلبة العاديين. أدرّس الصفوف الخامس والسادس والثامن. هذا العام هو الثالث في المدرسة، حيث اكتسبت خبرة عالية جداً خلال عامين، وهي مدة قصيرة نسبياً، لكن أعتبر نفسي أن التغيير الذي حصل لي عندما انتقلت لهذه المدرسة هو تغيير إيجابي وكبير، لأني تعرفت على نوعيات أخرى من الطلاب واكتسبت معرفة جديدة وخبرة جديدة بفترة زمنية قصيرة.

التعامل مع الطلاب الذكور ليس سهلاً، وبخاصة عندما تهتم الإدارة بأولياء الأمور أكثر من اهتمامها بالمعلمين. أحد المواقف التي حصلت معي هو أن أحد طلابي قد شتمني أمام طلاب صفه، ما دفعني كردة فعل إلى طرد الطالب من الصف، وبعدها رفضت تعليم هذا الصف، بما أن هذا الطالب لم يعاقب. فما كانت ردة فعل الإدارة سوى القول لي: «إنها آخر العام ... ومن أين لنا بمعلمة الآن؟». نتحدث كثيراً عن الأمن الوظيفي، لكن هناك مصطلح نسمعه جميعاً في كل مكان، وهو أن المعلم «غير مقطوع الوصف»، ويمكن استبداله في أي وقت. وفي نهاية المطاف يعتذر الطالب، وما علي سوى قبول اعتذاره وتكملة مسيرتي مع هذا الصف.

وأيضاً، الطلاب ذوو الاحتياجات الخاصة لهم معاملة خاصة، حيث أنهم نسبياً أبطأ من غيرهم من الطلبة في الاستيعاب والتحصيل الدراسي، وتجربتي معهم غنية جداً. أحاول قدر الإمكان تعزيز هؤلاء الطلاب ومحاولة اكتشاف ما لديهم من نقاط قوة وتعزيزها والعمل على تطويرها. خطوتي الأولى في هذا المجال هي عمل دراسة حالة عن طفلة في الصف السادس، قد تم تصنيفها ضمن الموهوبين بعد اجتيازها اختبارات عدة للموهوبين.

وها أنا في كل عام أكتسب خبرة أكبر، وأصبح معلمة ذات خبرة جيدة جداً في مجال التعليم، ما جعلني أحب مهنتي، حيث أنا الآن أعمل جاهدة على إيصال الرسالة إلى أكبر عدد ممكن من الأجيال، والعمل على تنمية أبناء مجتمعنا. وما يزيدني حماسة هو رؤية طالباتي اللواتي علّمتهن في سنواتي الأولى إلى جانبي في جامعة بيرزيت، حيث أكمل تعليمي بالماجستير وهن إلى جانبي في دراستهم للبكالوريوس، وكأنهن ينتظرنني عند دخولي للجامعة، فيركضن إلي، ونتحدث طويلاً، وهذا يفرحني ويجعلني أتأكد من أنني قمت بعمل ما جعل هؤلاء الطالبات يذكرنني بعد هذه السنوات.

أميرة ياسين
مدرسة الأميرة بسمة – القدس

من ورشة عمل حول توظيف عباءة الخبير قدمها الخبير لوك أبوت ضمن مشروع الطفولة المبكرة والثقافة العلمية.